شئون سياسية

ثم ماذا؟

السؤال الذى يلح الآن على ضمير الأمة العربية

بقلم : أحمد أبو شادى

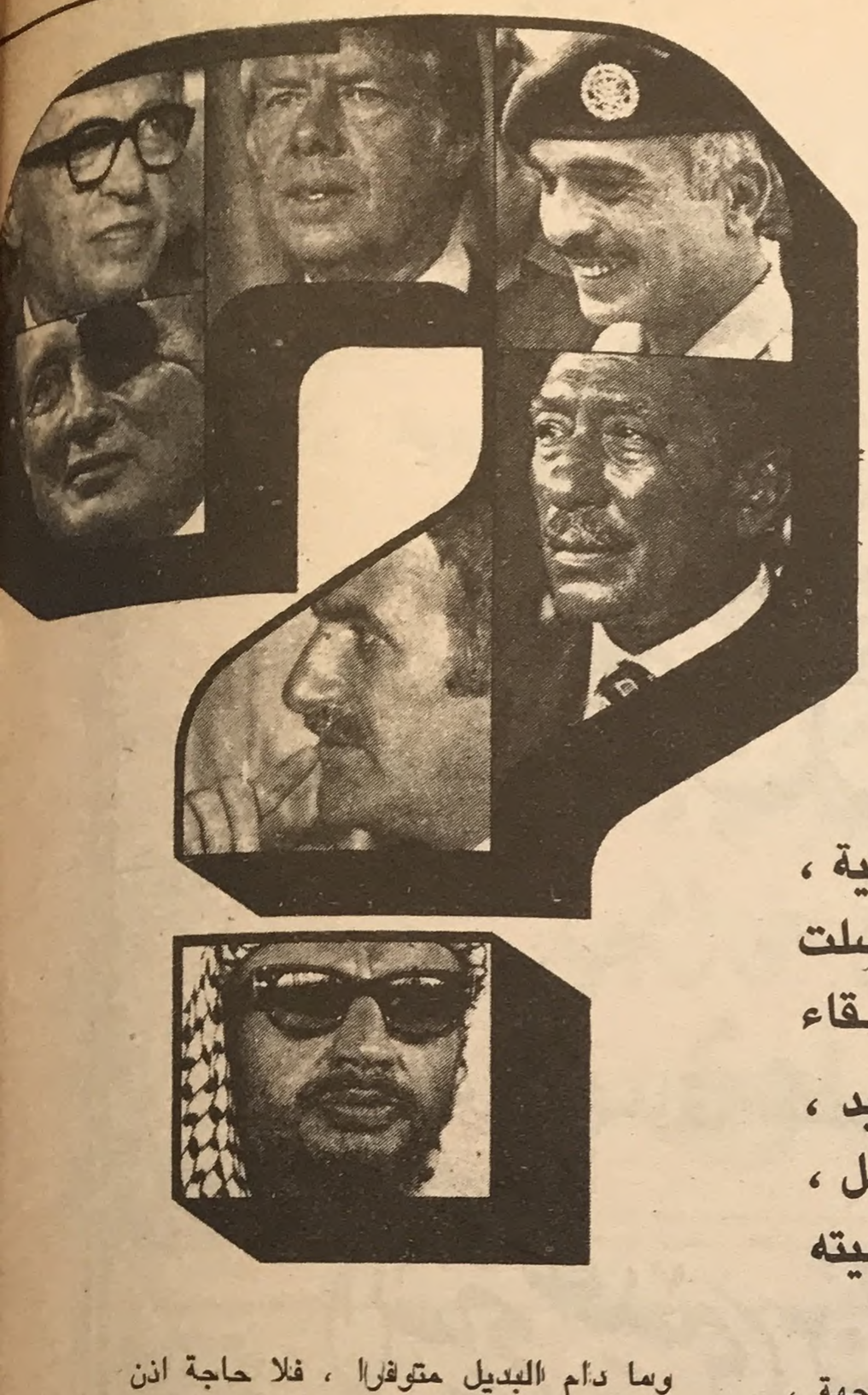

جرت الاحداث فى الوطن العربى ، خلال الايام الماضية ، بأسرع - وأسوأ - مما توقع أكثر المتشائمين ، ووصلت مضاعفاتها الى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين الاشقاء

ويعتقد بعض المراقبين أن حمى الاحداث لم تأت بجديد ، وانما هى قد كشفت فقط عن تناقضات كانت موجودة بالفعل ، لكنها كانت تتستر وراء ما اصطلح العرب على تسميته بالتضامن العربى ..

ولقد كانت زيارة الرئيس المصرى انور السادات لاسرائيل هى فى حد ذاتها التى حركت الاحداث ، لكنها لم تكن وحدها السبب فى كل ما تطورت اليه الامور .

كان بين العرب من يوافق على التسوية السلمية الشاملة لازمة الشرق الاوسط - واساسها المشكلة الفلسطينية - وكان بينهم من يرفض هذه التسوية ، ويعتبر ان القبول بها هو قبول بالحلول التصفوية والاستسلامية ، وانحراف عن طريق الكفاح المسلح الذى يراه هذا الفريق الوسيلة الوحيدة لاستعادة الحقوق واقامة السلام .

وبالرغم من أن هذين التيارين كانا دائما متواجدين على الساحة العربية ، الا ان الصراع بينهما لم يصل الى حد الصدام العلنى ، بمثل ما وصل اليه فى الايام الاخيرة ، وكان ذلك لعدة اسباب منها :

● ان الرافضين للحلول السلمية كانوا يراهنون على فشل الجهود المبذولة فى اتجاه اقامة السلام الدائم والعادل عن طريق المفاوضات . وكانوا فى رهانهم هذا يعتمدون على التعنت الاسرائيلى من جهة ، وعلى ما بدا من محاولات لاقصاء الاتحاد السوفيتى عن جهود التسوية ، والاتحاد السوفيتى هو أحد رئيسى مؤتمر جنيف ، وبدونه تذهب الجهود كلها الى فراغ .

● ان هؤلاء الرافضين للحلول السلمية ، لم يكن لديهم البديل الفورى الذى يقدمونه الى الامة العربية ، بحيث تقتنع - معهم - باسقاط جهود التسوية والاتجاه - معهم - الى الحل البديل . .

وما دامت جهود التسوية السلمية سوف تفشل - من وجهة نظرهم -

● الملك الحسن ●

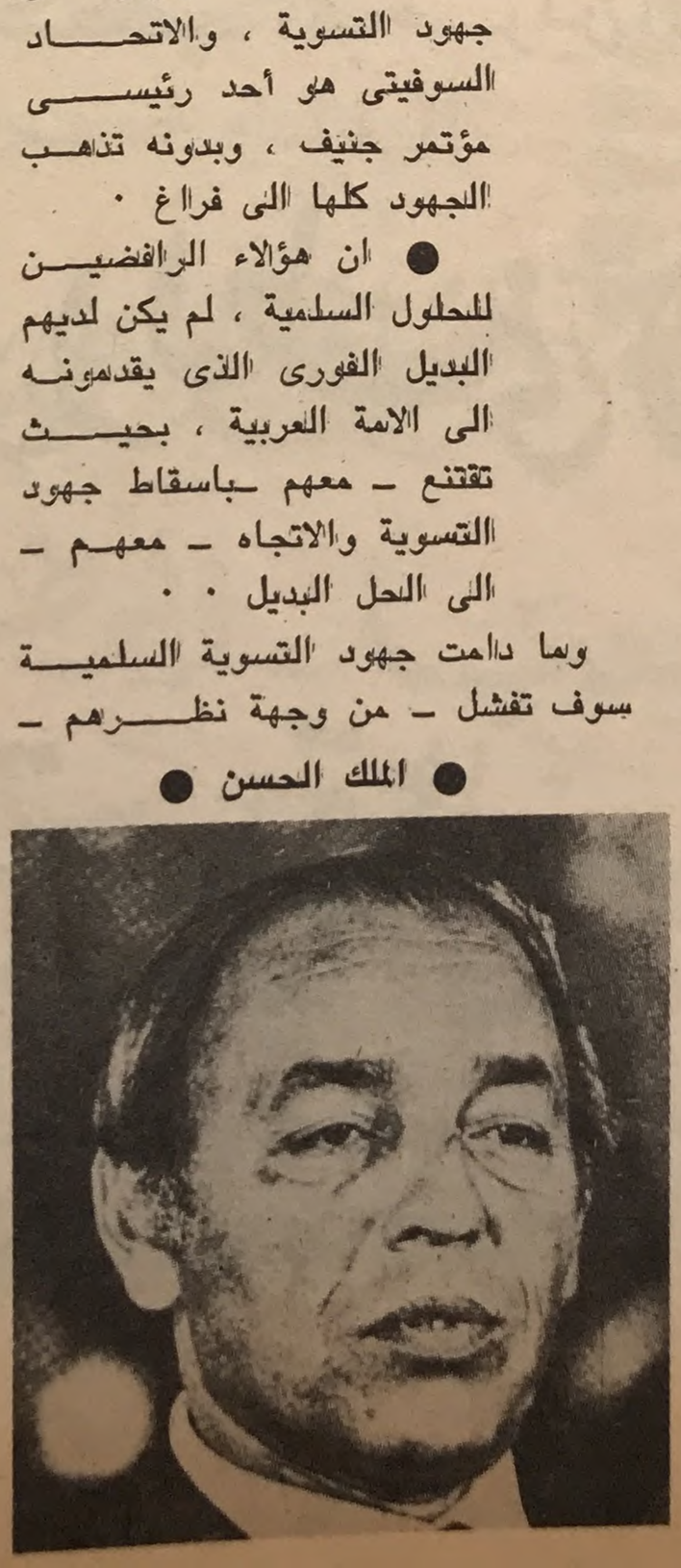

وما دام البديل متوفرا ، فلا حاجة اذن للمواجهة ، والا ضرورة للصدام العلنى، وحسب الجميع انهم يحرصون على التضامن العربى !! ..

وجاءت زيارة الرئيس السادات الى اسرائيل باحتمالات جديدة منها ان الحل السلمى ممكن بالاتصالات المباشرة بين العرب واسرائيل ، ودون وساطة القوتين الاعظم - أو حضورهما - اذا اقتضى الامر . ومنها ايضا ان مصر سائرة فى طريقها ، سواء انضمت اليها بقية قوى المواجهة أو تخلت عنها. ومصر - وهذه حقيقة تعرفها جيدا القوى الرافضة - هى اكبر دول المواجهة بمعايير الكثافة السكانية ، والمقدرة العسكرية ، وهذه الحقيقة اعترف بها مؤخرا موشى ديان وزير خارجية اسرائيل ، فقال فى تصريحات اذاعها خلال زيارته لالمانيا الغربية انه بدون مصر فلا حرب ولا سلام . .

لذلك فقد شعرت قوى الرفض ان من واجبها أن تتحرك ، وأن لا تقل سرعة حركتها عن سرعة مبادرات الرئيس السادات .

وكانت الدعوة لمؤتمر طرابلس المحدود .. هى الرد الفورى - والعفوى - على

زيارة السادات لاسرائيل . وقد لاحظ بعض المراقبين – منذ بداية الدعوة لهذا المؤتمر – أن الاعداد له لم يأخذ وقته الكافى ، فضلا عن أن فرص النجاح امام اعماله قد بدت محدودة .

● بعض الدول التى دعيت الى الاجتماع سبق ووافقت على مقررات مجلس الامن التى تدعو الى التسوية السلمية ، وقطعت شوطا بعيدا فى طريق حضور مؤتمر جنيف ، ولم يكن يعطلها عن حضور المؤتمر سوى ايجاد حل لمشكلة الفلسطينيين .

● بعض الاطراف التى حضرت المؤتمر بينها من الخلاف العقائدى ما يبعدها عن بعضها ، بأكثر مما يبعدها عن دعاة الحل السلمى .

● ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن وحدها التى تمثل الفلسطينيين فى المؤتمر ، انما كان الى جانبها الجبهة الشعبية ، وفصائل اخرى من فصائل المقاومة ، بحيث بدت قيادة المنظمة وكأنها تمثل منظمة فتح وحدها !! ..

ومع كل الملاحظات التى أبداها بعض المراقبين – والتحفظات التى أبدوها بالنسبة لنجاح المؤتمر – فان الكثيرين فى العالم العربى ، كانوا يرون ان انعقاد المؤتمر فى حد ذاته قد يسفر عن نتائج ايجابية ، وعلى سبيل المثال :

● تجاوز بعض الخلافات السائدة بين أطراف اتفقت على حضور المؤتمر

●● ايجاد صيغة مشتركة تجمع بين فصائل ، المقاومة وارضية واحدة تقف عليها ، بعد ما بدا فى بعض الظروف من أن المقاومة الفلسطينية قد أصبحت كعربة يجرها أكثر من حصان واحد ، يتجه كل منها الى اتجاه مختلف ..

●●● والاهم من ذلك كله ، ان تتحدد فى العالم العربى – وتخرج الى مسرح الاحداث – مختلف الاراء والاجتهادات ، وتتبلور فى تيارات صريحه بحيث يمكن

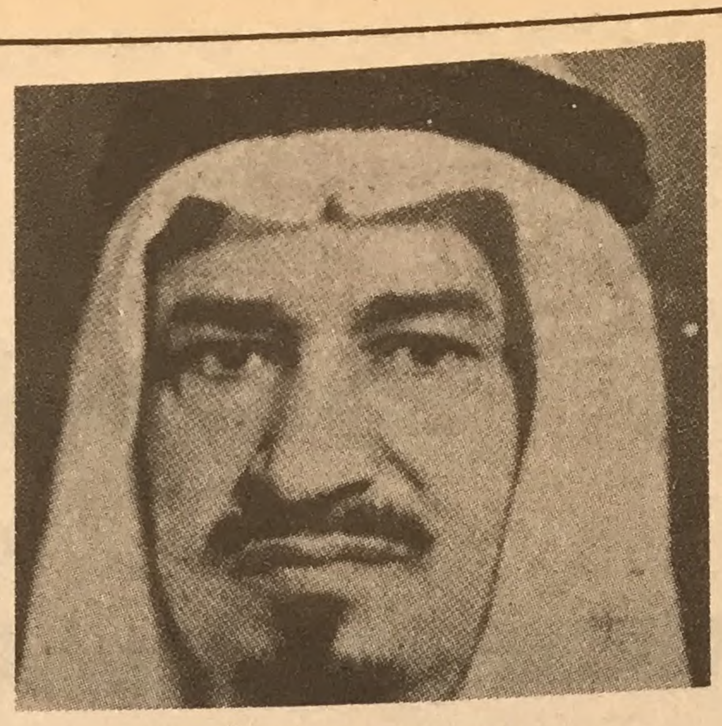

● الملك خالد ●

للرأى العام العربى ان يتبين معالمها ، وان يفاضل بينها ، واخيرا ان يختار التيار الذى يترك اليه مصيره .

ومع ان البعض – فى العالم العربى – كان يعتقد دائما بان مجرد ظهور هذه التيارات هو ضربة للتضامن العربى ، فان البعض الاخر لم يكن يرى الشر كله فى هذا الخيار – رغم محاذيره – انطلاقا من حقيقة منطقية تقول بانه لن يصح فى النهاية غير الصحيح .. !!

اذن فانعقاد مؤتمر طرابلس – فى ذاته – لم يكن علامة خطر – ، لا بالنسبة لفريق الحل السلمى ، ولا بالنسبة ايضا للجماهير العريضة على الساحة العربية .

ولم يكن متوقعا للمؤتمر – فى ذاته – ان يصل بالعلاقات العربية الى ما وصلت اليه من التفسخ والتدهور ..

الذى وصل بالوضع العربى الى هذه النتيجة ، هو عبارة واحدة وردت فى البيان الختامى للمؤتمر تتهم الرئيس المصرى أنور السادات بالخيانة العظمى بالنسبة لشعبه ، وبالنسبة للامة العربية على الاطلاق .. !!

ومع كثيرا من الاصوات العاقلة ، كانت قد انطلقت فى العالم العربى – قبل زيارة الرئيس السادات وبعدها – تحذر من الانزلاق الى تبادل الاتهامات بين الاجتهادات العربية المختلفة ، خصوصا اذا كانت هذه الاتهامات تمس شرف رؤساء الدول ووطنيتهم ، الا ان هذه الاصوات العربية العاقلة كلها قد ضاعت هباء وسط الحماس الجارف الذى سيطر على بعض الاطراف فى مؤتمر طرابلس ، ووصل الامر بالمؤتمر الى توجيه تهمة الخيانة العظمى الى من قاد حرب اكتوبر ، وحطم جيشه خط بارليف ، واستشهد اخوه الشقيق فوق الارض المحتلة ، فى أول طلعة قام بها الطيران المصرى بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ .. !! ورحم الله عاطف السادات ..

وبأى المقاييس ، كان الاتهام متجاوزا لحدوده ، وكان فيه من الاساءة الى شعب مصر بأكثر مما يستطيع ان يحتمله .. أو يطيقه .

والى جانب ما أدى اليه هذا الاتهام من تصدع فى العلاقات العربية ، فان بعض المراقبين يرون انه على صعيد الاهداف الاخرى للمؤتمر ، فان تجاوز الخلافات بين اطرافه لم يتحقق ، الى حد انسحاب احد الاطراف ورفضه التوقيع على البيان الصادر عن أعمال المؤتمر .

يبقى ما اذيع عن اتفاق فصائل المقاومة على توحيد صفوفها ، على أساس رفض جميع الحلول السلمية وقرارات مجلس الامن الدولى ، والعودة بالنضال الفلسطينى الى ساحة الكفاح المسلح . وهذا الاتجاه ، فضلا عن انه حق للشعب الفلسطينى – لا يمكن لاحد ان يصادر عليه – فانه كان دائما اقصى ما يتمناه العرب جميعا ، ومنذ وقت طويل ، الى الحد الذى دفع بأحد المعلقين الى القول بان المقاومة الفلسطينية قد فعلت فى عدائها للسادات ما كانت عاجزة عن فعله فى عدائها لاسرائيل .. !!

ولسنا نريد ان نترك انفسنا لانفعالات الغضب والجموح ونحبس انفسنا – فى اعقاب كل كارثة – فى البحث عن اسبابها والمسئولين عنها ، فان الاحداث التى تتلاحق بسرعة تفرض علينا ان نواجه انفسنا بسؤال يلح على ضمير الامة العربية ، وينتظر الجواب ..

– ثم ماذا .. ؟

وقد تكون الاجابة الوحيدة المعقولة – والمقبولة – هى ان يستجيب الجميع لجهود مخلصة وأمينة ، تبذلها الان أطراف عربية عاقلة ، ادركت برؤية صافية ان دورها الان هو ان توحد وأن تجمع الشمل تجنيبا للامة العربية لاخطار محنة لن تصيبن الذين ظلموا خاصة ، وانما تتعداهم الى مصير امة باسرها .

وسواء جاءت الجهود من السعودية والخليج ، أو جاءت من الاردن والمغرب ، فان صوت العقل ينبغى أن يظل هو دائما أعلى الاصوات فى العالم العربى .